تجليات التراث الصوفي عند عبد الجواد خفاجي ف روايته "بغل المجلي"

د. صابر عكاشة قليعي
كلية الآداب– جامعة العريش

الملخص:

يحاول البحث من خلال تجربة الأديب عبد الجواد خفاجي في روايته "بغل المجلي" أن يدفع المتلقي ليعيش تجربة الروائي الإبداعية في مجابهة الخرافة، وفضح البيئة الغارقة في التخلف في شكل فني مبدع، والكشف عن جماليات توظيف الموروث الثقافي الصوفي في النص الأدبي– حيث استدعى الروائي صورًا وملامح وأمكنه ومسافات متداخلة بعضها مع بعض، ممتزجة في إناء واحد، تكشف لنا عن الواقع المؤلم الذي يعيشه السواد الأعظم من أبناء صعيد مصر، ولأن مهمة الأديب تختلف عن مهمة الفيلسوف، فهو مطالب بأن يعكس صورًا من الواقع المؤلم.

الكلمات المفتاحة: تجليات، التراث الصوفي، الرواية المعاصرة، عبد الجواد خفاجي.

The manifestations of the mystical heritage of Abdul Jawad Khafaji In his novel, "The Mule of Majali"

Dr. Saber Okasha Kulaie
Faculty of Arts– Arish University

The summary

The research, through the experience of the writer Abdul-Jawad Khafaji in his novel "Baghl Al-Majali", tries to push the recipient to live the novelist's creative experience in confronting the myth, exposing the environment mired in underdevelopment in a creative art form, and revealing the aesthetics of employing the cultural heritage in the literary text - where the novelist summoned images The features, places, and distances that overlap with each other, mixed in one container, reveal to us the painful reality experienced by the vast majority of the people of Upper Egypt. And because the task of the writer differs from the task of the philosopher, he is required to reflect images of the painful reality.

Keywords: Manifestations, Sufi Heritage, Contemporary Novel, Abdel-Gawad Khafaji.

(ISSN: 2536 - 9555)

تجليات التراث الصوفي عند عبد الجواد خفاجي ف روايته "بغل المجلي"

د. صابر عكاشة قليعي
كلية الآداب– جامعة العريش

مقدمة:

لا شك أن الموروث الصوفي بكل معطياته شخوصاً وأماكن ومواقف وأزماناً يضيء زوايا التجربة لدي الأديب، حيث تتنوع مصادر التراث التي يتم توظيفها في الرواية العربية بشكل لافت للنظر، وقد لجأ الأديب العربي إلى التراث يستمد منه رموزه ليعبر عن حاضره، فالتراث "ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف وكتب، ولكنه اعتراف أمام الناس والعالم، اعتراف بوجود، اعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي.. ولكن من حقها أن تنمو وأن تشق طريقها.. وفق طبيعة ظروفها وأرضها وتاريخها، على أساس وحدة شخصيتها القومية وتفاعلها الحر مع التراث الحضاري الشامل"(١).

وقد عمد الأديب عبد الجواد خفاجي إلى الموروث الصوفي في محاولة منه لإعادة قراءة التاريخ، ومن ثم توظيفه بصورة انتقائية هادفة، لترسيخ القيم الدينية والأخلاقية في نفوس المسلمين ومن جانب آخر يرسم صورة لقوي الشر المتجددة التي تسعي لمكاسب مادية محاولة تغييب العقل ورسم صورة للصوفية هي في الأصل بعيدة كل البعد عن الصوفية الحقيقية "فالأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية"(٢).

---

(١) عبد الوهاب البياتي، الشاعر العربي المعاصر والتراث، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الرابع، يوليو ١٩٨١م، ص ١٩.

(٢) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٢٠.

والأديب عبد الجواد خفاجي لديه تميز واضح في كثافة الموروث الصوفي المستمد من الشخصيات الصوفية الشاطحة، التي غيرت اتجاه الصوفية إلي نوع من الدجل والخرافة عبر مجموعة من الأفعال التي أصبحت سمة من سمات الصوفية المعاصرة المنتشرة بكثافة، خاصة في صعيد مصر عبر مواقف وأحداث أثرت في السواد الأعظم من أبناءه، وخرجت به من النور إلى الظلام.

يحاول البحث من خلال تجربة الأديب عبد الجواد خفاجي في روايته "بغل المجلي" أن يدفع المتلقي ليعيش تجربة الروائي الإبداعية في مجابهة الخرافة، وفضح البيئة الغارقة في التخلف في شكل فني مبدع، والكشف عن جماليات توظيف الموروث الثقافي الصوفي في النص الأدبي– حيث استدعى الروائي صورًا وملامح وأمكنه ومسافات متداخلة بعضها مع بعض، ممتزجة في إناء واحد، تكشف لنا عن الواقع المؤلم الذي يعيشه السواد الأعظم من أبناء صعيد مصر، ولأن مهمة الأديب تختلف عن مهمة الفيلسوف، فهو مطالب بأن يعكس صورًا من الواقع المؤلم، حيث اتجهت الرواية العربية بعد الفترة الرومانسية إلى تصوير الواقع، فظهرت بوادر الرواية الواقعية على يد أعلام بارزين كنجيب محفوظ في روايته "القاهرة الجديدة" و"خان الخليلي" وحنا مينه في روايته "المصابيح الزرق" وكانت تتناول المجتمع وقضاياه البارزة.

وظهر روائيون كثر التصقوا ببيئاتهم المحلية واستخدموا محتوياتها أمثال "الطيب صالح" في روايته "عرس الزين" التي تفوح برائحة القرية السودانية بمعتقداتها وعاداتها وتقاليدها وغيرها الكثير من الروايات التي اهتمت بالمجتمع المحلي متمثلاً في موروثاته الثقافية.

أسباب اختيار البحث:

كان مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الرغبة في البحث عن الموروث الثقافي الصوفي، وكيفية توظيفه والكشف عن تأثير التراث على الرواية، البحث

(ISSN: 2536 - 9555)

عن تجلياته في رواية "بغل المجلي" ومحاولة إضافة ولو فكرة بسيطة عن خبايا النص.

وعبر هذا الثراء المعرفي والتشعبات التي يأخذها التراث في إبداعات الروائي سنحاول من خلال البحث دراسة كيفية استثمار الموروث واستلهامه وتوظيفه في الرواية عبر مجموعة من الأسئلة أهمها:

ما مدى توظيف الموروث في الرواية؟

كيف وظيف الروائي هذا الموروث؟ وما هي تجلياته في الرواية؟

هل جاء توظيف الموروث لغرض جمالي فني، أم كان بهدف إحيائه والحفاظ عليه، أو بغرض تمرير بعض الفكر والدلالات العميقة للقارئ؟

وقد اول البحث الإجابة عليها معتمدًا في ذلك على خطة تتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

- تعريف التراث لغة واصطلاحاً.
- عناصر التراث، وأهم أنواعه.
- تجليات الموروث الصوفي في رواية "بغل المجلي".
- جماليات توظيف الموروث الصوفي في الرواية.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة لعرض ما توصلت إليه الدراسة، ثم رصد مصادر ومراجع الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة في ذلك على منهج "البنيوية التوليدية" وهو المنهج الذي يمكنه الكشف عن أغوار هذا النص الروائي، حيث يجمع بين شقيه المنهج البنيوي، وما يتسم به من التعامل النسقي للنص الروائي، إضافة إلى المنهج الاجتماعي الذي يربط النص الروائي بسياقه الاجتماعي.

أولاً: ماهية التراث:

سيحاول البحث تقديم تعريف لكلمة التراث لغة واصطلاحا مما توفر لدينا من مادة.

١- التراث لغة:

جاء في لسان العرب "ورث الوارث: صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم"[٣]، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة ﴿**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[٤].

ويقال "ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا... وورثت في ماله: أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة"[٥].

فمعاني هذه المفردات تشير إلى ما يكسبه الإنسان من نصيب مادي أو معنوي باعتباره ميراثا يتركه سابقوه المقربون، إذ تخوله صلة القرابة الحصول على ذلك والاستلاء عليه.

وفي القاموس المحيط: "تضمنت معنى ورث أباه منه بكسر الراء" أي يرثه أبوه وأورثه أبوه وورثه جعله من ورثته، والوارث الباقي بعد فناء الخلق، وفي الدعاء أمتعني بسمعي وبصري واجعله الوارث مني أي ابقه معي حتى أموت"[٦].

كما وردت كلمة التراث في القرآن الكريم بنفس المعنى الذي أشارت إليه المعاجم، أي المال ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا**﴾[٧].

---

(٣) ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٧، ص٤٢٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٨٠).

(٥) ابن المنظور، لسان العرب، ص٤٢٢٤.

(٦) مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز ابادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، تح: محمد العرقوسي، ط٨، ٢٠٠٥، ص١١٧.

(٧) سورة الفجر، الآية (١٩).

(ISSN: 2536 - 9555)

فلقد كان الناس في الجاهلية يأكلون ميراث الميت أكلا شديدا، مسرفين في انفاقه ولم يكونوا يسألون أحلال أم حرام؟

كلمة تراث ومشتقاتها تجاوزت في القرآن الكريم، المعنى المادي لتشير إلى أمور معنوية أخرى كما في قوله تعالى في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ﴾[٨]، أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي ويقصد النبوة.

وقد جاء في القرآن أيضًا من سورة النمل: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ...)[٩] وفي آية أخرى من سورة الأحزاب جاء قوله تعالى: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا)[١٠] للدلالة على انتقال الأمر إلى من ورثه عن الأصل حقًا.

وقد أجمع اللغويون على أن التراث هو ما يخلفه الرجل لورثته "وأن تاؤها أصلها الواو، أي الورث وله نظائر في كلمات أخرى منها: التجاه أصلها الوجاه أي الجهة، ومنها التكلان أصلها الوكلان أي ال اعتماد على وكيل"[١١].

٢- التراث اصطلاحًا:

تعددت دلالات التراث وتباين مفهومه، واختلف الدارسون في تحديد وجهته وتبيين معناه، فكلمة تراث لم تستخدم بالمعنى الاصطلاحي إلا في العصر الحديث، إذ لم يكن لها وجود في الخطاب العربي القديم، بل تحدد ظهورها داخل الفكر العربي المعاصر، وتباين مفهومها من باحث إلى آخر تبعًا لمواقفهم.

فإن كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، فإنهم اختلفوا حول تحديد الفترة الزمنية التي ينتمي إليها أفي الماضي البعيد أو داخل

---

(٨) سورة مريم، الآية (٥-٦).

(٩) سورة النمل، الآية ١٦).

(١٠) سورة الأحزاب، الآية (٢٧).

(١١) عبد السلام هارون، التراث العربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٥.

الحضارة السائدة. ويعطينا الدكتور "حسن حنفي" تصورا واضحا له، فهو يرى أنه "مجموعة من التفاسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته، خاصة وأن الأصول الأولى التي صدر منها التراث يسمح بهذا التعدد، لأن الواقع هو الأساس الذي تكونت عليه"(١٢).

ونظر "محمد عابد الجابري" للتراث على أنه "الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية العقيدة والشريعة، اللغة والأدب، الفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف"(١٣).

وقدم الدكتور "جبور عبد النور" تعريفا أشمل وأوسع من ذلك فقال: "هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم، في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والانساني والسياسي والتاريخي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث"(١٤).

التراث ليس ماضيا وحسب، بل امتلك ميزة أخرى مكنته من الاستمرارية في الحاضر والقدرة على الحياة مدة أطول، فهو عند "حسين مروة": "كائن حي متحرك بصيرورة دائمة هي صيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها ويحيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعه ولكن بشكل آخر ربما كان شكلها الأرقى، وربما كان شكلها الرافض لها، وربما كان تعبيرا عن صراعها مع نفسها"(١٥).

---

(١٢) حسن حنفي، التراث والتجديد؛ مؤقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

(١٣) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة؛ دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٤٥.

(١٤) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص٦٣.

(١٥) حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٤٦٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

أما "**سعيد يقطين**" فيوسع مجال التراث ويربطه ب: "كل ما خلفه لنا العرب والمسلمون من جهة ويتحدد زمنيا بكل ما خلفوه لنا قبل النهضة من جهة ثانية"(١٦).

ويرى "**طه عبد الرحمن**": "أن التراث ليس مجرد تركة، إنه يلازمنا تاريخيا وواقعا، أي ليس ماضيا يعيش في الحاضر، ولذلك في رأيه كثرت الأعمال المشتغلة بالتراث دراسة وتقويما"(١٧).

والتراث بمعناه الواسع كل ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها، ويشرح "**اسماعيل سيد علي**" هذه الفكرة: "فيبين التراث ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد، سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث، أو مبثوثة بين سطورها، أو متوازنة أو مكتسبة بمرور الزمن، وبعبارة أكثر وضوحا إن التراث هو روح الماضي والحاضر والمستقبل، بالنسبة للإنسان الذي يحيا به وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه أو فقده"(١٨).

فالتراث واسع ولا يمكن حصره في تعريف واحد، إلا أن الأكيد وبالرغم من تعدد هذه التعريفات، فمضمونها يصب في معنى واحد، وهو أن الحاضر مقترن بالماضي، إذ لا يمكن الحديث عن مجتمع دون الرجوع إلى تراثه فالتراث يتضمن كل ما هو حي ونابض ومتفاعل مع الذات الإنسانية.

---

(١٦) سعيد يقطين، الكلام والخبر؛ مقدمة السرد العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٤٧.

(١٧) طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، ط٢، د.ت، ص١٩.

(١٨) حكيمة موسود، أبعاد توظيف التراث في الرواية الجزائرية؛ رواية الرعشة لأمين الزاوي نموذجًا، رسالة ماستر أكاديمي في الأدب العربي، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ٢٠١٧، ص٢٠.

ثانياً: عناصر التراث:

التراث هو خلاصة ما تخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، أو ما يخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد، ويضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته فالتراث إذن معين أثري لا ينضب من المعرفة، ومصدر الهوية، والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة، كلما غاصت وتفرعت الجذور كانت الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على المواجهة، ومنه يمكننا أن نقسم التراث إلى: التراث المادي والتراث المعنوي.

١- التراث المادي:

يصدر هذا النوع من التراث من السلوكيات أو النشاطات التي تأتي أو تظهر من الإنسان وأهم منجزاته المادية من مباني وأشكال عمران ومنشآت دينية وجنائزية كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع، ومبان حربية ومدنية مثل الحصون والقصور والقلاع والحمامات، والسدود والأبراج، والأسوار والتي تعرف في لغة الأثريين بالآثار الثابتة، إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية والتي يطلق عليها الأثريون الآثار المنقولة.

إذن التراث المادي هو الذي يكمن في تلك الملموسات والماديات التي بقيت محافظة على شكلها طول الفترة الزمنية حتى وصلت الينا بهذا الشكل، ولا يقتصر التراث المادي على المباني والعمران بل يتجاوز ذلك ليصل إلى عمق الشعب ليرصد لنا أهم التفاصيل الدقيقة المتمثلة في اللباس والمأكل وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل...الخ، "والتراث المادي هو ما يتم توارثه عبر الأجيال من العادات والتقاليد والمبادئ والقيم وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل وتأدية الواجبات الاجتماعية وأدب المأكل والمشرب والملبس وغيرهما مما يتصل بأدق التفاصيل التي تميز كل أمة عن الأمم الأخرى"[١٩].

([١٩]) عبد القادر الريحاوي، قمم عالية في تراث الحضارة العربية ال إسلامية المعمارية والفنية، منشورات وزارة الثقافة، سومريا، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠، ص٦٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويعد كذلك التراث الطبيعي جزء مهم من التراث المادي: "ويقصد به التشكيلات الجيولوجية والمواقع الطبيعية ومناطق الجمال الطبيعي. وعلى هذا فإن سواحل البحار والكثبان الرملية والسلاسل الجبلية بل وحتى الأغنام والنمور البرية والفهود والأسود، كلها تشكل جزءا من التراث الذي يجب المحافظة عليه باعتباره تراثا للإنسانية معرضا للانقراض"(٢٠).

٢- التراث المعنوي:

يتجلى التراث غير المادي أو المعنوي، في كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكلات تنويعات التراث الانساني، ويقصد بعبارة التراث الثقافي غير المادي ما ذهبت اتفاقية صون التراث غير المادي عام ٢٠٠٣ إلى تعريفه بأنه: "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية والتي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة ومع تاريخها"(٢١).

ويعرف الشق المعنوي للتراث باسم التراث الشعبي اذ يتكون من عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل وهو استمرار للفلكلور الشعبي، كالحكايات الشعبية والأشعار والقصائد المتغنى بها، وقصص الجن الشعبية، والقصص البطولية، والأساطير، ويشتمل على الفنون والحرف، وأنواع الرقص واللعب، والأغاني، والحكايات الشعرية للأطفال، والأمثال

(٢٠) علي عفيفي علي غازي،التراث المادي والتراث المعنوي، مجلة الحياة:
www.alhayat.com/articles/25/8611350

(٢١) طلال معلا، التراث الثقافي غير المادي؛ تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات سوريا، دمشق، العدد ٤، ٢٠١٧، ص٧.

السائرة والألغاز والمفاهيم الخرافية والاحتفالات والأعياد الدينية...الخ. وهذا الشق من التراث لا يقل أهمية عن التراث المادي.

ويمكن تقسيم التراث الغير مادي إلى عدة أنواع، كل حسب مجاله:

- فنون قولية، وتضم الفنون الشعبية التقليدية المصاغة والمنقولة لغويا وشفويا من زجل وشعر شعبي وأغاني شعبية وقصص وحكايات وألغاز وتهاليل ونواح وحزازير وأمثال وحكم ونداءات الباعة ونداء أو طرد الحيوانات ودعوات ورقي وغير ذلك.
- عادات وطقوس وتقاليد ومناسبات واحتفالات وما يدور فيها من سلوك وطرق اتصال وأساليب تعامل واتصال مع القوى الخارقة.
- فنون حركية وتقاليد أداء العروض، وتضم الرقص والدبكة والموسيقى والمسرح والألعاب.
- معارف ومعتقدات، وتضم المعتقدات الدينية الشعبية، والمعتقدات بالجن والأرواح والمعتقدات حول الطبيعة والكون والمعارف الطبية الشعبية وغير ذلك من المعارف والمعتقدات الشعبية.

التراث غير المادي لا ينتقل بسهولة بل صعب الانتقال لأن له صلة بالجانب الوجداني والمعنوي وكذلك صعب الاكتساب وذلك يعود إلى الجانب الذاتي من الإنسان.

وما يميز التراث الثقافي غير المادي أيضا هو: "الحيوية التي تجعله قادرا على الاستمرار والحياة ككائن حي يتكيف باستمرار مع تطور المجتمعات والبيئة والمحيط ليمضي في وجوده، رغم هشاشته".

كما أنه يضيف على النص رونقا جميلا ويمنحه حيوية وذوق شعبي خاص ومنه ان التراث المعنوي يوفر القالب الصياغي الذي يظهر فيه النص بمذاق جديد حتى يمنحه قيمة حيوية ذات ذوق شعبي.

(ISSN: 2536 - 9555)

يبدو من خلال ما سبق أن التراث سواء كان ماديا أم معنويا فهو يمثل روح الأمة فهو بمثابة بطاقة تعريف لأي شعب من الشعوب. وقد يلجأ البعض إلي أجواء التصوف لأنه يجد "ملازاً يأوى إليه ويلوذ بكنفه هروباً من هذا العالم المادي الذي يصطخب بصراعاته، ويموج بالعنف والدمار والأهوال، وتتوارى فيه كثير من القيم المثالية مما يصيب الذات الظامئة إلي العالم المثالي بالإحباط ويدفعها إلى البحث عن طريق الخلاص من هذا الطوفان المادي[٢٢] وقد يستغل البعض الآخر هذه الأجواء ليتكسب مكاسب مادية، وهو ما يبدو في هذه الرواية

أولاً:- تجليات الموروث الصوفي في رواية "بغل المجلي".

تتكون رواية "بغل المجلي" من أربعة عشر فصلاً هي بالترتيب[٢٣]:

(ما تيسر من تاريخ البغل، المهاطيل، الدرويش، سكينة، أبو البطاح، العمدة أبو دراع، حميده، المستدرك من تاريخ البغل، الحضرة الذكية، سعدية الحلبية، المحجوب، عزت بك سلطان، الليلة طين، لحظة فارقة).

ففي تناول جريء للموروث الصوفي والفكري، لتفكيك هذه المنظومة التي تصادر العقل والفكر، عبر القالب الفني الذي مرَّر الكاتب أفكاره فيه. حيث "تكمن موهبة الأديب فيما يمكن أن نسميه فيضان النفس الذي يؤدي إلى تفاعل ذاته مع الحقائق وتفهمها بتعاطف، وما يتتبع ذلك من تفهم الحياة نفسها[٢٤].

تأتي رواية "بغل المجلي" في إطار ساخر يحمل العديد من العناصر الأسطورية، بداية من التفكير الأسطوري المهيمن على الشخصيات، ومرورًا

([٢٢]) فوزي عيسى، تجليات الشعرية، قراءة في الشعر المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، د–ت، ص٢٨٣.

([٢٣]) عبد الجواد خفاجي، بغل المجلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

([٢٤]) أسامة فرحات، المونولوج بين الدراما والشعر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص٢٧.

بالأحداث حيث تتمحور الرواية حول ذلك البغل الذي التفت حوله الجماعة الشعبية بوصفه كائنًا خارقًا ينتمي لعالم ما وراء الطبيعة، وإن اختلفت تصوراتهم عنه. فبعضهم يرد أصله إلى عالم الملائكة، والبعض يذهب بأصله إلى عالم الجن والبعض يراه ولياً من أولياء الله الصالحين. وهناك من يرى أن روح أحد أولياء الله الصالحين هي التي تجسدت في البغل. ومع اختلاف كل تلك التصورات يبقى إجماع على أنه خالد لن يموت، وإن كان اختفاؤه فجأة كما ظهر فجأة يبدو احتمالاً واردًا. لكنهم يرون في ذلك نذير شؤوم على القرية كلها، وايذاناً بانتزاع البركة من زراعتهم وأموالهم وأعمارهم.

من هنا يكتسب البغل حضورًا اسطوريًا في وجدان تلك الجماعة فمن خلاله يتم السعي لعلاج المرضى خاصة من العقم، وبه يلوذ الفقير أملاً في الثراء، ويقصده كل صاحب حاجة لقضائها.

وتمتلئ الرواية بالممارسات الغرائبية الخاصة بالبغل خاصة استخدام روثة فهناك من يلطخ به الوجه والجلبان، أو يعجنه مع الطين والتبن ويلطخ به جدران البيوت وأبوابها، وهناك من يستخدمه كبخور والمرور عليه سبع مرات، أو يضعه في ماء الاستحمام، أو يفرك واحدة في حقيبة الملابس، أو يلقي واحده في ساقيه مهجورة أو يستخدمها كدهان أو فركها على عتبة مكان بعينه يرتبط بقضاء مصلحة.

وتبلغ ذروة أسطورة البغل ليلة الجمعة الأولى من كل شهر عربي حيث يتوسط بقلادته الذهبية حلقة كبيرة من الدراويش وهم يرقصون على إيقاع الدفوف والأناشيد.

الرواية التي نحن بصددها لا تقدم أسطورة بل تحطم أسطورة البغل عن طريق حبكة درامية تبدأ من تاريخ فرسه عبد النبي التي كانت سببًا في أدخال الثراء والسعادة عليه ورفضه بيعها بأي مبلغ مالي لأنه رأى رؤية بألا يفرط في هذه

(ISSN: 2536 - 9555)

الفرسة. وعندما اختفت الفرسة وفي بطنها البغل. استشعر عبد النبي أنها كانت على علاقة بالجن. وعندما وصلت الفرسة للمجلي وانجبت البغل تخلص المجلي منها وترك البغل، الذي اعتقد الكثير أنه بغل سماوي.

فالرواية توضح أنه مجرد بغل أرضى لا يرتبط بسماء ولا ببركة وهول بغل مسروق وصاحبه دجال. وعلى هذا تأتي الرواية في إطار السخرية من حمقى يتفننون في التأويلات الخرافية وينساقون خلف أكاذيب واهية يمدون لها جذور في التراب وأغصان في السماء، بغية الاستفادة المادية والمعنوية.

تغوص الرواية في التصوف بتوظيف مجمل خصائص الخطاب الصوفي، وذلك بتمثل ثلاثة ملامح أساسية هي:

- اللغة الصوفية.
- النص الصوفي
- كرامات الشيخ المتصوف.

ففي الملمح الأول تتفاوت النصوص التي تم توظيفها في الرواية لخدمة السرد فمنها ما يأتي علي ألسنة بعض الشخصيات كبعض الأوراد الصوفية كما ورد علي لسان الدرويش وهو في طريقة لقصر المجلي " فالمقصد الكريم وراء المسير هو استجلاء نور اليقين، وهتك الحجاب بين السر وسر السر"[٢٥].

"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.. مدد.. يا بغل المجلي مدد.. عليكم حملتي حسبت.. إن الضعيف علي القوي محمول"[٢٦].

"نحو سمو ذاتك أرقى يا جلو بصيرتي وبصري.. أجلو فوانيس روحي، ما بين انفصال واتصال انمحي عن كون كوني إلي كون كونك يا أيها البهي الجليل تجل

([٢٥]) الرواية، ص٢١.

([٢٦]) الرواية، ص٢٢.

للذات فارفعها ،كي ترفع في نور النور روحي، يا نوراً تجلى على أربع.. مدد مدد[٢٧].

حيث يعبر كل نص عن حال من أحوال الشخصية فالسارد يقتطف كل صوت ليتواطأ الحدث السردي مع النص الموظف في سياقه.

وكذلك بعض الأشعار علي لسان المجلي.

ألا يـا طبيـب الجـن بـالله داوينـي ... فـإن طبيـب الإنـس أعيـاه مـا بيـا
أعـزم علـيكم يـا بنـي الجـن كلكـم ... بمـن رفـع السـبع الطبـاق العواليـا[٢٨]

فاللغة عند الصوفية تعد دوالاً إشارية لمعانيهم الخاصة، حيث يتضح أن هناك جانبان يتعلق أولهما بالمصطلح الصوفي، وعنوان أحد الفصول، التي تحمل أحد أهم أفعال الصوفية في العصر الحاضر وهي تجمعهم في مكان واحد يدعى "الحضرة".

فالرواية تتردد فيها الكثير من مصطلحات الصوفية كـ (السر، المدد، البصيرة، الروح...)

ويحمل عنوان أحد الفصول (الحضرة الذكية) مظهر من مظاهر التصوف في معظم انحاء مصر وبخاصة في الصعيد حيث أحداث الرواية، مما يؤكد الطابع الصوفي لهذه الرواية.

ويتعلق الجانب الثاني ببعض السمات الأسلوبية للنص الصوفي التي تحققت في المتن الروائي، حيث يميل الخطاب الصوفي بشكل عام إلي الإيجاز وقصر العبارات باستخدام لغة رمزية، تعتمد التلميح والإشارة، لا التصريح، كإشارات

---

(٢٧) الرواية، ص٢٢.

(٢٨) الرواية، ص٦٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

الشيخ المستمدة من التراث الصوفي: "عليكم حملتي حسبت...إن الضعيف علي القوي محمول"[٢٩].

- **النص الصوفي:**

"يعتمد النص الصوفي في بعض المواقف السردية علي الموروث الصوفي من شعر ونثر، كأشعار ابن الفارض والحلاج والبوصيري، ونصوص نثرية من الأوراد والأحزاب الصوفية التي تتردد علي لسان الشيخ الصوفي، كحزب البحر والنصر للشاذلي"[٣٠].

والرواية بها الكثير من النصوص الصوفية التي تأتي علي ألسنة الشخصيات خاصة فيما يتعلق بالرؤية المنامية، كما جاء علي لسان السارد "يقال إن المجلي موصى من الشيخ الأعظم "القراموطي"– عطر الله ذكره– بتقريب أبي البطاح منه، حيث قال له بلهجة آمرة: "لقد جاءني الأمر مناماً أن أبا البطاح هو أمين الجماعة بعدك... زوجه من ابنتك، وتوكل علي الله"[٣١].

وكما جاء علي لسان المجلي في الساحة "وهو يعظ الناس، قبل أن ينخرطوا في المديح والتسابيح، ويقرأ عليهم ما تيسر من خواطر ابن عربي والنفري والحلاج، يقرأ ويشرح ويفسر، ويربط كل ذلك بالقرآن والأحاديث النبوية. وكان كثير من جلساء المجلي يفغرون أفواههم دهشة، وهم يرون أبا البطاح داخلاً عليهم، ولسان حالهم يقول: أبو البطاح...؟.. يا بركاتك يا مجلي!"[٣٢]

([٢٩]) الرواية، ص٢٢.

([٣٠]) تامر محمد عبد العزيز ، الرواية القصيرة في إقليم المنيا ،مجلة الدراسات العربية، العدد السابع والثلاثون، يناير ٢٠٠٨م ،ص ٢٨.

([٣١]) الرواية، ص٣٣.

([٣٢]) الرواية، ص٣٢.

- **كرامات الشيخ:**

يأتي الملمح الثالث وهو كرامات الشيخ حيث تفيض الرواية بهذا الملمح كما جاء علي لسان الدرويش في رؤيته المجلي التي قصها عليه "رأيت السماء تمطرنا بغالاً، وأن واحداً من هذه البغال دخل فجأة الخص المظلم، برطع فيه وهدمه تماماً، وأنه كان يبعر ذهباً وكان المجلي يجمع الذهب في جوال كبير"[٣٣] حيث تبدل حال المجلي وصار من الأثرياء، وبعد أن كان يسكن في خص بسيط أصبح يسكن في قصر كبير، ينام علي حرير ويأكل أفخم اللحوم، ولديه خدام للبغل وخدام له ولزوجته، وحلقة ذكر واسعة يأتي اليها الرواد من كل حدب وصوب يبغون التقرب.

كذلك ما جاء علي لسان السارد حيث المجلي وسط حلقة الذكر يتمايل ويصيح ويهيج الي أن قفز من موضعه "وبدا للجميع كما لو كان حمامة كبيرة بيضاء تطير في الهواء، لا تعرف لها مستقر.. حوم فوق الناس، وانتهى إلي صحفة مملوءة بالجمر الذي يستخدمه مدخنو النراجيل.. أمسك بالصفحة ورفعها عالياً وبدا للجميع أنه يلعب بالنار، وتلك عادته عندما يستبد به الهيام، وتتملكه النشوة"[٣٤].

وفي موضع آخر "وكان منشداً آخر قد بدا مع خمرية ابن الفارض عندما كفا المجلي الجمر علي رأسه، وشاهده الناس وقد تساقط الجمر من أعلاه إلي أسفله، ومن ثم تعالى صياحهم: "مدد.. مدد.. "وقبل أن ينتهي الصياح كان المجلي قد لاك بعض قطع الجمر وسط إعجاب ودهشة الحاضرين"[٣٥].

([٣٣]) الرواية، ص٢٤.

([٣٤]) الرواية، ص٧٩.

([٣٥]) الرواية، ص٧٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

- جماليات توظيف الموروث الصوفي في الرواية:

يمثل كل نص فضاء تلتقي فيه نصوص عديدة بما تتضمنه من رؤى فكرية وحضارية مختلفة يحكم الكاتب مزجها بطريقته الخاصة فيشكل نصا منسجما متناسقا، وهو ملتقى لتقاطع خطابات متنوعة، يؤدي تجاوزها وتداخلها إلى زخرفة النسيج النصي بالمقتبسات الفنية والحضارية والثقافية ورواية "بغل المجلي" ترتقي ارتقائها الإبداعي والجمالي نتيجة توظيف عبد الجواد خفاجي للموروث في أجمل تجلياته وأبعاده الترميزية.

١- عنوان الرواية:

لعنوان الرواية وظائف هامة، حيث يعد العنوان "نظراً لاستقلاله الوظيفي مرسلة كاملة ومستقلة في إنتاجيتها الدلالية مثلها مثل العمل الذي يعنونه ودون أدني فارق"[٣٦] ومن بعض وظائف العنوان أنه يوحي ببعض ما يشتمل عليه النص، ويحوي وصفاً مكثفاً وموجزاً لعناصره وبمقاربة عنوان الرواية "بغل المجلي" نجد أننا أمام عنوان مركب من دالين الأول (بغل) مضاف الي شخص وهو "المجلي" حيث يعمد السارد الي سرد بعض التفاصيل الدقيقة في حياة كلا منهما فنجد الكاتب يفرد للبغل فصلين مهمين (ما تيسر من تاريخ البغل، والمستدرك من تاريخ البغل)، حيث تبدو الرواية ترجمة لحياة شخصية مهمة لا تلعب أي دور اطلاقاً مع أنها أهم شخصيات الرواية، وهو ما يمكننا أن نصنفها ضمن روايات اللابطلAnti hero، فالبطل المحوري هو البغل، بغل المجلي، وهو بطل لا يفعل شيئاً طيلة الرواية سوى أن يأكل وأن يخرج الروث الذى يعد مقدساً، فالبغل أصبح مقدساً وصاحب سلطة، فهو حسب اعتقاده كائن خارق ينتمي لعالم ما وراء الطبيعة، بعضهم يرد أصله إلي عالم الملائكة وبعضهم يرد أصله إلي عالم الجن

([٣٦]) محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣١-٣٥.

والبعض يراه ولياً من أولياء الله الصالحين، وهناك من يعتقد أن روح أحد الأولياء الصالحين قد حلت به، كما أن هناك إجماع علي أنه خالد لا يموت، وإن كان وارد اختفائه فجأة كما ظهر فجأه، وحضوره بينهم حضور البركة في زراعاتهم وأولادهم وحلولاً لمشاكلهم المعقدة، فمن خلاله يلوذ به الفقير أملاً في الثراء، والمريض طلباً للعلاج، وكل صاحب حاجة يود قضائها.مما يدل علي تغلغل معتقدات خاطئة في وعي أبناء هذه القرية وما يشابهها، خاصة إذا غاب العلم والمعرفة، فلابد من تفسير ظواهر الطبيعة تفسيراً خرافياً، كذلك إسناد مهمة القيام بأفعال كثيرة الي هذه القوي الخارقة.

وأحداث الرواية تبدأ منذ زمن إعلان موت البغل وتنتهي بوصول الجموع لمكان موته، وركض المجلي والقائه بنفسه في النيل، لتنقسم الجموع في تفسير ذلك إلي أقسام، فمنهم من يعتقد أن البركة ستذهب من القرية ومنهم من يعتقد أن الروح باقية معهم وهي التي تحرسهم ، حيث عمدوا إلي إقامة (مقام) وهو مبني مازال حتي وقتنا الحاضر متواجد بكثرة في صعيد مصر وغيره لعدد من الأولياء، يتوافد إليه الكثير لتحقيق مطالبهم ورغباتهم.

فالكاتب يستعين بالراوي العليم omniscient narrator، وهو يسرد أحداث الرواية بلغة تشبه لغة البحث العلمي، ومسيرة السرد في الرواية تذهب في اتجاهين،

الأول: اتجاه أفقي يتتبع شخصية المجلي الذي بدأ حياته في خص بسيط من عيدان الذرة وبعض الحطب، ولم يعيره أحد التفاتة غير الدراويش العائدين من موائد الرحمن والموالد، ولا يعرف أحد له لقب أو عائلة أو مكان ميلاد سوى ما قرره للعمدة في بداية الرواية عن قبيلته الأندلسية التي تنتسب لقبيلة حجازية قديمة، وهو يمتلك كتب جرد لأصول قبائل الصعيد مثل كتاب (التاريخ الأوسط لقبائل الصعيد الأسعد) لمؤلفه (أبو سعيد الأرقط)، فانشغل أهل القرية بالكشف

(ISSN: 2536 - 9555)

عن أنسابهم، وتركوا نسب المجلي، "سأله" عب مولي" عن اسمه، فقال: "المجلي.. من آل البيت"(٣٧).

كما كان له نشاط واضح في تفسير الأحلام وعلاج المرضي بالأحجبة، ومع شبكة علاقاته استطاع أن يتحول إلي أسطورة وأن يحول بغله المسروق إلي أسطورة، لأنه يعلم جهل الناس وإمكانية تصديقهم لأي شيء ف "كل الفؤائد التي كتبها المجلي للناس كانت تشكيلية من أربعة أشياء مختلفة في كل مرة، إلا أن الثابت فيها جميعاً هو "روث البغل" كواحد دائم من أربعة"(٣٨).

وهكذا أصبح روث البغل ذا فائدة عظيمة، إذ ارتبط بعلاج الناس، حيث قال أحد الصالحين : "يضع سره أينما شاء" فالبغل هدية من السماء كما حكي المجلي "كنت نائماً علي جنبي الأيمن ووجهي للقبلة وكنت علي وضوء رأيت السماء تبرق انهمكت في تأمل السماء حتي إني شاهدت بغلاً من نور يتشكل في السماء يهبط رويداً إلي الأرض في الحقيقة خفت، وتملكتني الرهبة، ولكني تعوذت من الشيطان، وقلت: يا رحمن، وفي الصباح ما إن فتحت عيني وجدت هذا البغل فوق رأسي"(٣٩).

وهكذا رسخ في أذهان أهل القرية أن هذا البغل بغل سماوي مبارك، وهو الملجأ والملاذ لكل من يرغب في الثراء أو العلاج أو المطالب الأخرى.

والاتجاه الثاني:

اتجاه رأسي يتناول جوانب من حياة الشخصيات التي ارتبطت بصعود نجم المجلي كالدرويش، وسكينة، وأبو البطاح، والعمدة أبو دراع، وحميدة، والمحجوب، وعزت بيك سلطان، وعبد النبي، وغيرهم حيث كان لهم دور الأكبر في تطور

(٣٧) الرواية، ص٤٠.

(٣٨) الرواية، ص٤٤.

(٣٩) الرواية، ص٦١.

البنية السردية للرواية ونمو أحداثها، حيث يسمح تعدد الرواة في السرد بتعدد وجهات النظر المعروضة لأن الراوي حين ينفرد بالحكي" فإن القصة عادة ما تكون منظورة من زاوية واحدة، ومعروضة بلهجة واحدة مسيطرة علي السرد... والراوي المتعدد يتيح الفرصة لتقديم الحقيقة من كل جوانبها، وكذلك يمكنه تقديم الأحداث التي تقع في وقت واحد"[٤٠] وبالتالي فإن تعدد الرواة في رواية "بغل المجلي" ساهم في تقديم الحدث من وجهات نظر مختلفة، متكاملة في انتاج الدلالة المعنية في الرواية.

٢- عناوين الفصول:

من خلال تتبع عناوين فصول الرواية الأربعة عشر: (ما تيسر من تاريخ البغل، المهاطيل، الدرويش، سكينة، أبو البطاح، العمدة أبو دراع، حميده، المستدرك من تاريخ البغل، الحضرة الذكية، سعدية الحلبية، المحجوب، عزت بك سلطان، الليلة طين، لحظة فارقة) نلحظ الآتي:

- تشكل كل سيرة منها قصة قصيرة نسبياً، حيث تتخذ معظمها من موت البغل محطة انطلاق للشخصية، تبدأ أولا برد الفعل علي خبر موت البغل، ويأتي الاسترجاع كتقنية فنية يلجأ إليها الكاتب، للكشف عن علاقة صاحب الشخصية بالبغل وصاحب البغل، ومع هذا الاسترجاع تتطور حكاية البغل، وتتكشف رويداً رويداً تفاصيل حياة المجلي سارق البغل واسرار صعوده إلي قمة الثراء والسيطرة علي الفقراء والعامة، بل وعلي رموز القرية بما فيهم العمدة ممثل الحكومة، والتاجر الثري، ومالك الأطيان.
- استهل الكاتب الرواية باستخدام تقنية الخبر كأداة ربط ونقطة انطلاق للأحداث، التي تبدأ بصورة بنت المجلي وهي تعدو صارخة معلنة موت البغل

(٤٠) عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٣٨، ١٣٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

(بغل المجلي) ومن تلك اللحظة تنطلق معظم فصول الرواية ، فالراوي يفتت السيرة وينثرها بامتداد الرواية دون التزام بترتيب معين، ومن خلال منظور أشخاص الرواية يتم بث تصور الراوي عن منظور هؤلاء وتصورهم للبطل (البغل) وصاحبة (المجلي) ، وكيف أن هذه العقلية مهيأة لاستثمار الخرافة.

- جاء عنوان الفصل الأول بعد المدخل التاريخي "المهاطيل" لتكون دلالة السخرية هي الأبرز في الرواية، السخرية من أسطورة البغل ومن بعض العادات والتقاليد البالية، كتقسيم فئات المجتمع الصعيدي إلي عرب وهوارة، حيث لا يسمح أي منهم بالزواج من الآخر،

كما تم مع حميدة حين هربت ولم يعلم مصير حبيبها "كانوا جميعاً السبب.. كان طالباً الحلال.. لكنهم رفضوه.. كل لحظة كانت تمر بعد رفضهم كانت جحيماً.. رفضوه لأنه من عائلة بينهم وبينها كما يقولون حجر"[٤١].

وتظهر السخرية عبر تجليات عديدة مثل الوصف الممزوج بالمفردات الساخرة كتشبيه ابن العمدة بلوح الطرزان وغيرها الكثير. كما تبدو السخرية في الجمع بين صورتين متناقضتين لشخصية واحدة، إحداها زائفة والأخرى حقيقية كصورة المجلي نفسه، فهو يزني ويكذب ويسرق محتمياً بالدين باستغلال جهل الناس وظنهم أنه ولي من الصالحين، وصورته وهو يعالج الناس بالفوائد والأحجبة، وظهور كراماته في الشخصيات التي تطلب العون.

وكذلك شخصية الدرويش وهو يحوم بلغة صوفية ذات مفردات عميقة، واشتهاء الزواج بصبية في العشرين وهو ابن الستين، ثمة إذن صورة روحانية خالصة، وأخرى شهوانية خالصة، الأولي علي عكس طبيعتها خارجية زائفة والثانية داخلية عميقة وحقيقية ودمج الصورتين يكشف عن السخرية من الصورة الأولي.

([٤١]) الرواية، ص٥٠.

٣- زمن السرد:

يعتمد السرد في رواية "بغل المجلي" علي السرد المتقطع/النسق الزمني المتقطع ولا يعتمد علي حالة التوازن المثالي (السرد المتسلسل) النسق الزمني الصاعد، فلا يبدأ الأحداث مرتبة حسب وقائعها، وإنما تتعدد القفزات الزمنية بين لحظة ماضية ومستقبلة[٤٢]. ورغم انفصال الحوادث واختلاطها إلي حد اللبس- أحياناً- فإن السارد يعتمد تقنية ال flash back لتقوده إلي استعادة الذكرات، فالرواية تقوم علي تقنية الاسترجاع حيث يؤدي الاسترجاع عدة وظائف أهمها[٤٣].

- ربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة لها، ولم تذكر في النص.
- ملء فراغات زمانية تساعد علي فهم مسار الأحداث.
- سرد الأحداث المتزامنة، فيعلق حدثاً لتناول حدث آخر.
- عند ظهور شخصية جديدة علي مسرح الأحداث للتعرف علي ماضيها.
- عند اختفاء شخصية أو غيابها عن الأنظار لفترة زمنية، وحين يود السارد استحضار ما مر بها أثناء الغياب فيستعيد ماضيها.

ولأن الرواية تتناول سيرة البغل، حيث تتخذ من موت البغل نقطة انطلاق، فإن الاسترجاعات الزمنية تسيطر بشكل كبير علي السرد، فلا يخلو فصل منها، حتي علي مستوى العلاقات الزمنية بين الفصول، فنجد أولاً رد فعل الشخصية علي خبر موت البغل، وعلاقة الشخصية بصاحب البغل، ومن ثم تحول الزمن إلي الماضي، ليؤدي الاسترجاع وظيفته، فتبدو ملامح الشخصية وأبعادها.

---

(٤٢) عبد العال بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، القاهرة، مجلد ١٢، العدد الثاني ١٩٩٣م. والنسق الزمني المتقطع يطلق علي حالة الانطلاق من وسط المتن الحكائي، ويبدأ السرد فيها من نقطة زمنية بها تأزم، فتتشعب مسارات السرد فينحني صعوداً وهبوطاً وتوقفاً.

(٤٣) **راجع:** جيرار جنيت، خطاب الحكاية ص٦١. وسيزا قاسم بناء الرواية ص٥٨-٦٢. وعبد العالي بوطيب: إشكالية الزمن في النص السردي، ص١٣٤,١٣٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

كما يستعين السارد بتقنية الاسترجاع للربط بين حدثين متشابهين كما ظهر ذلك في عودة العلاقة بين المجلي والعمدة "عب مولي" وكذلك بين "سعدية الحلبية" والمجلي(٤٤).

كما تكررت في فصول الرواية الانكسارات الزمنية نحو الماض، والتي تعتمد في توليدها علي تكرار بعض الجمل السردية في بداية كل فصل وفي نهايته تكرر ذلك في ثلاثة عشر فصلاً من جملة أربعة عشر فصلاً (ما تيسر من تاريخ البغل، المهاطيل، الدرويش، سكينة، أبو البطاح، العمدة أبو دراع، حميده، المستدرك من تاريخ البغل، الحضرة الذكية، سعدية الحلبية، المحجوب، عزت بك سلطان، الليلة طين)، فالربط بين الأحداث، والاسترجاعات كانت في أغلبها داخلية– تعود إلي زمن يلي اللحظة الأولي في السرد، لأن السارد بدأ من نقطة زمنية بعيدة للغاية في السرد، وهي موت البغل، والتي رصد من خلالها علاقة الشخصيات المتتابعة به.

خاتمة

حاول البحث رصد تجليات التراث الصوفي في رواية "بغل المجلي" لعبد الجواد خفاجي وذلك من خلال عدة مستويات أبانت عنها الدراسة. ويمكن إجمال بعض النتائج التي خلص إليها البحث:

- الصوفية مظهر واقعي ينتشر في البيئة الصعيدية، حيث تشكل الصوفية أحد أهم مكونات العالم الروائي عند عبد الجواد خفاجي، ونظراً لطبيعة البيئة الصعيدية وبعدها عن مراكز التجمعات البشرية والمدن الصاخبة ، فقد شكل هذا المجتمع مكاناً خصباً لنمو هذا النشاط الروحي الذي تمارسه مجموعة من الناس، تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيا ،وتعود الي الاتحاد بالمطلق كنوع من التعويض النفسي، إضافة إلي الموروث التاريخي للحركات الصوفية الذي

(٤٤) راجع، الرواية ص٤٥، ص٧٠.

هو أكثر التصاقاً بالصعيد من غيره. وعليه فإن البعض يستغل هذه العقلية لينشر من خلالها الخرافة كونها مستعدة لقبول هذه الخرافة والترويض لها.

- لجأ الأديب لتوظيف هذا التراث من خلال عدة روايات يأتي في مقدمتها الرواية التي يتناولها البحث، عن طريق التوظيف الخارجي، حيث يقوم الكاتب بتوظيف تراث البيئة المحلية، لإعلام القارئ واطلاعه علي ما يفترض أنه مجهول بالنسبة له، كما يتخذ الكاتب من التوظيف الخارجي للصوفية دور المؤرخ، فيسرد دون تدخل أو تغيير حيث أوكل الأديب في الرواية إلي الراوي المحايد مهمة تقديم المعلومات عن الصوفية المنتشرة في الصعيد ، وما يقومون به من أعمال وطقوس تبدأ بتهيئة المكان وبناء المقام وإقامة حفلات الذكر.
- وتأتي الطريقة الثانية التي اتبعها الأديب لتوظيف الصوفية في الرواية وهي التوظيف العضوي، حيث يذوب النص الموظف في الرواية ،ويشكل خلفية لأحداثها، ورؤاها وأفكارها، ومواقف شخوصها حيث استخدم الأديب هذا الشكل من توظيف التراث في رواية" بغل المجلي" التي بناها علي مفهوم صوفي يبرر معضلات التفكير عند الناس ومنها اختفاء فرسة عبد النبي، وتهيئة المناخ لميلاد البغل المبروك الذي سيصبح قطباً، ومنها طقوس تخليد البغل ليصبح له مقام.
- يشكل الموروث الصوفي معمار النص الروائي في رواية "بغل المجلي"، فتظهر الشعرية في أبهى تجلياتها في الرواية ، كما يستفيد الراوي من لغة المؤرخين وهو يقدم الشخصيات حال دخولها مسرح الرواية فيذكر الاسم بالكامل والعائلة واللقب والعمل ويقدم تفاصيل وظروف بعض الألقاب تاريخياً.
- يعد الموروث الشعبي الصوفي الموضوع الرئيس للرواية، لأن الرواية رواية تدين مظاهر القبح والخرافة لدي الكثير من الذين يعتقدون أن هذه هي الصوفية.
- أضفى عبد الجواد خفاجيعلى نصه نكهة خاصة، صبغها بلغة شعرية مميزة إذ مارس عليه عملية الانزياح والعدول، مماثلة ومخالفة لتنتهي التجربة

(ISSN: 2536 - 9555)

الإبداعية في شكل أرقى، لأن هذا النص حاول بث الحياة من جديد في الموروث الصوفي وقدمه بشكل مغاير يتأقلم ومعطيات الرواية، ويتلاءم مع السياقات الحضارية والتاريخية المتزامنة مع النص الروائي.

- تكمن جمالية رواية "بغل المجلي" في أن الكاتب قام باستدعاء نصوص مختلفة وقام ببنائها داخل نص موحد قائم على مبدأ التجاور والتجانس والتحاور ليصير لحمة واحدة يصعب فكها، فنص "بغل المجلي" نص تراكمي معرفي يمتزج فيه النظام بالفوضى، والوعي باللاوعي ليشكل تيارا معرفي دائم الحركة مرصع بمختلف النصوص الغائبة، لتساهم في تماسك بنيته السردية، وتناغم علاقاته الأساسية، فشكلت بذلك مجموع النصوص المنصهرة في بوتقته جزء لايتجزأ من جسده.
- ساهمت اللغة العامية الشعبية في إضفاء مسحة جمالية على الرواية لأنها في الأخير هي عطاء شعبي أسس حيزا مكانيا داخل الرواية، فمنحه أبعادا واقعية، وكشف عن المجال الذي يفسحه الكاتب أمام شخوصه لتعبر عن تصوراتها وآمالها وطموحاتها بكل حرية.
- تأثر الكاتب في بعض جوانب الرواية بالأديب محمد مستجاب(١٩٣٨–٢٠٠٥م) في روايته " من التاريخ السري لنعمان عبد الحافظ" كتوظيف لغة المفارقة، وتجربة كتابة السيرة الروائية في معالجة موضوعية.
- التوظيف الصوفي هنا توظيف مقصود من الروائي، ليخلق منه معادلاً نفسياً وتفسيرياً للظواهر المعقدة التي لا ترقي اليها عقول بعض أبناء هذه البيئة، والكاتب يحاول عبر روايته أن يدحض عن أبناء الصعيد القبلية والتخلف وعدم إعمال العقل والفكر.
- بعض السمات الأسلوبية للنص الصوفي لم تتحقق في الرواية ، حيث يميل الخطاب الصوفي الي الايجاز والقصر واستخدام لغة رمزية تعتمد التلميح بصورة مكثفة.

- رؤية الأديب رؤية مكثفة، فهي تجارب تأملية تتفتح على أبعاد متعددة وتتسم بالشمول، وتتعدى دائرة الانفعال بالحدث لتصبح شوقاً مشوباً بالقلق والخوف، مصوراً لموقف الإنسان من غده، وفزعه أمام المجهول.
- يقترح البحث مزيد من الدراسات حول الإنتاج الروائي للأديب عبد الجواد خفاجي، لما يتميز به من غزارة في الإنتاج، وتميز في الخطاب الروائي.

المصاد والمرجع

أولاً: المصادر

١- عبد الجواد خفاجي، بغل المجلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

ثانياً: المراجع

٢- ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٧.

٣- أسامة فرحات، المونولوج بين الدراما والشعر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.

٤- تامر محمد عبد العزيز، الرواية القصيرة في إقليم المنيا ،مجلة الدراسات العربية، العدد السابع والثلاثون، يناير ٢٠٠٨م.

٥- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

٦- حسن حنفي، التراث والتجديد؛ مؤقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٧- حسين مروة، دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، د.ط، د.ت.

٨- حكيمة موسود، أبعاد توظيف التراث في الرواية الجزائرية؛ رواية الرعشة لأمين الزاوي نموذجًا، رسالة ماستر أكاديمي في الأدب العربي، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ٢٠١٧.

٩- سعيد يقطين، الكلام والخبر؛ مقدمة السرد العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

١٠- طلال معلا، التراث الثقافي غير المادي؛ تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات سوريا، دمشق، العدد ٤، ٢٠١٧.
١١- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، ط٢، د.ت.
١٢- عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٣- عبد السلام هارون، التراث العربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٤- عبد العال بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، القاهرة، مجلد ١٢، العدد الثاني ١٩٩٣م.
١٥- عبد القادر الريحاوي، قمم عالية في تراث الحضارة العربية ال إسلامية المعمارية والفنية، منشورات وزارة الثقافة، سومريا، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠.
١٦- عبد الوهاب البياتي، الشاعر العربي المعاصر والتراث، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الرابع، يوليو ١٩٨١م.
١٧- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٧م.
١٨- علي عفيفي علي غازي، التراث المادي والتراث المعنوي، مجلة الحياة. www.alhayat.com/articles/25/8611350
١٩- فوزي عيسى، تجليات الشعرية، قراءة في الشعر المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، د–ت، ص٢٨٣.
٢٠- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز ابادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، تح: محمد العرقوسي، ط٨، ٢٠٠٥، ص١١٧.
٢١- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة؛ دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٤٥.
٢٢- محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣١–٣٥.